أواخـــــــــــر ايام محمد على باشا الكبيـــــــــر

د. عبد المنعم ابراهيم الجميعى

تناول العديد من الكتاب مؤرخين وغيرهم عصر محمد على بالدراسة فكتبـوا عن تأسيسه لمصر الحديثة وتكوينه للحكومة المدنية فيها ودعم اركانها وعن فتوحاتـه وأمجاده، ولكن أحدا منهم لم يتعرض لسنوات حكمه الأخيرة إلا لماما، مما يجعل هـذه الدراسة ضرورية خاصة وانها تبين مدى مرارة المعاناة السياسية التى قـدر لمحمـد على أن يعيشها فى أعقاب تدخل القوى الأوربية ومساندتها للسلطان العثمانى ضـــده بهدف المحافظة على مصالحها[١]

لقد كانت المحنة التى تعرض لها محمد على عنيفة فقد وقـف منفـردا أمـام القوى الكبرى التى حاصرت بأساطيلها سواحل الشام والاســكندرية لـترغم جيشـه المنتصر على قبول شروطها المجحفة التى استهدفت القضاء على كل منجزاته. وقـد اضطر إلى قبول المفاوضات مع الحلفاء الذين فرضوا عليه تسـوية ١٨٤٠-١٨٤١[٢] وبمقتضاها ضاعت كل فتوحاته فى بلاد العرب والشام وكريت بعد أن كـان محمـد على قد اخضعها لسيطرته. وهكذا تقلص نفوذه لاسيما بعد ان فرض عليـه الحلفـاء تحديد عدد قواته المسلحة بما لايسمح له باستئناف الفتوحات. وادى ذلك إلـى توقعـه داخل حدود مصر فقط، وانهيار احلامه وتطلعاته التوسعية. وكان طبيعيا ان يـترتب على ذلك تدهور مشروعاته الصناعية والزراعية[٣] وتوقف مسيرته فى البناء.

وتطرق اليأس إلى نفس الباشا الذى ناهز السبعين فى عمره فى ذلك الوقـت، وأحس بالأسى والمرارة والقنوط وفقد القدرة على القيام بمسئوليات الحكم، واضطربت افكاره وضعفت قواه الجسمية والعقلية فلم يستطع التحكم فى اعصابه، وفقد السـيطرة على تصرفاته، وانتابته نوبات هستيرية فشل الاطباء فى علاجها ولـم ينجـع فيـها دواء.[٤]

ومن أكبر المشاكل التى واجهت محمد على وهو فى هذه الحالة السيئة فقدانـه

الثقة فى معظم افراد اسرته خاصة وانه لم يجد من يتحمل المسئولية من بعده ســـوى ابنه ابراهيم الذى تكاثرت عليه الأمراض هو الآخر، وأوشكت على الفتك به[٥] وإلـــى جانب ذلك فان محمد على اكتشف قيام بعض افراد اسرته بالاختلاسات والتصرفـــات المريبة فى الادارات الحكومية[٦] والتراخى فى تنفيذ أوامره فلم تعد تنفذ بدقه وحـــزم كما كان يحدث من قبل[٧]

ونتيجة لكل ذلك، ورغبة من محمد على فى اصلاح احوال ما أعوج من أمور اجتمع بأفراد أسرته وكبار رجال دولته لتوجيه النصح لهم وارشادهم. وكان من أبـوز ما أوضحه لهم وطلبه منهم هو ضرورة اتفاقهم واتحادهم فى الآراء، والثبـــات فـــى العمل والاستقامة فى الأفكار حتى يمكنهم العمل على تقدم مصر التى تمتلـــك تربـــة خصبة وصالحة للعمار فقال "ان من حسن الطالع ان نعم بأرض كأرضينا لامثيل لـــها بين أراضى العالم، وعندى أن التقاعس عن بذل كل ما يمكن بذله من الجـــهود فـــى سبيل مضاعفة يسرها ورخائها لدليل العقوق التى لايمكن ان يرضاه قلبى، ويســـتحيل أن أقره فلا محيص لى من أن أناشدكم فى كل حين بأن تسهروا على أداء واجبـــاتكم لكى تصل إلى الغاية التى جعلناها نصب اعيننا وحذار مـــن التكاســـل والاهمـــال... فلايفوتنكم إننى سأواصل السهر على سعادة هذه البلاد ورخائها ولو ضحيت فى هـــذا السبيل بحياتى وحياة اقاربى".[٨]

وبين محمد على لهم أن اختلاف الآراء يمكن ان يحـــول دون تحقيـــق تلـــك الأهداف، وحذرهم من العاقبة بقوله " إن كل من حولى يعرفون تمام المعرفـــة أننـــى لارغب فى ايذاء أحد، وقد حكمت اربعين عاما لم تمتد فيها يدى بمعاقبة أحد عقابـــا شديدا. فاذا ما ارغمت على الخروج عن هذه القاعدة فلن يكون الذنب ذنبى بل ذنـــب غيرى".[٩]

كما أوضح لهم أنه استنتج أن خططه وآراءه تسير فـــى واد وخطـــط وآراء أعضاء اسرته الذين يتولون الأمور العامة تسير فى واد آخر، وأنهم يتنصلـــون مـــن

المسئوليات بما لا يتفق ومصالح البلاد. وضرب مثالين على ذلك:

الأول: أنه على الرغم من أوامره الصادرة إليهم باجراء تعداد النفوس لأهالى مصر وتوخيهم الدقة فى ذلك، فانهم تركوا ذلك الأمر للعمد والمشايخ الذين لم يصدقوا فى أعمالهم وأقوالهم.

والثانى: إنه رغم مناشدتهم الاهتمام والعناية بتربية وتهذيب الطلاب الدارسين بمدرسة الخانكة حتى يتخرجوا بالشكل اللازم فان احدا منهم لم يعر ذلك اهتماما.

وإلى جانب ذلك فقد ذكر محمد على أنه ليس بالرجل الذى يتشبث برأيه، كما أنه لايتخذ قرارا فى مسألة الا بعد أن يسمع آراء المجلس المختص بها لأن كل أمله هو خير هذا الوطن وصالح البلاد وإن خطته تنحصر فى البحث عن كل مامن شأنه ان يؤدى إلى غنى هذا الوطن وعمرانه وان الواجب يقتضى التكاتف والتعاون والتضامن لأن الخلاف فى الآراء لا يتفق مع المصلحة كما أن اساس الحق والعدل واساس الواجب والاخلاص يكمن فى اتحاد الافكار والمبادىء.(١٠)

وعلى الرغم من نصائح محمد على لأفراد اسرته، والمناقشات الحادة التى كانت تدور بينه وبينهم فانه لم يجد الاستجابة الكاملة منهم وعقب احدى هذه المناقشات آوى إلى مخدعه فاصابه القلق والأرق لدرجة أن جفنه لم يغمضه حتى الصباح. فغادر فراشه مبكرا وتوجه إلى قاعة الاستقبال التى كانت خالية من حاشيته فى مثل تلك الساعة، واستلقى على الكنبة، واجهش فى البكاء والعويل بحالة هستيرية مسموعة، ورفض طعام الأفطار كما رفض تناول القهوة وتدخين "الشبك"(١١) الذى اعتادها من قبل. وبعد فترة قصيرة طلب الباشا اعداد مركبته فحضر رجال الحاشية جميعا مسرعين، وظلوا واقفين امامه دون أن يجرأ أحد منهم على الاقتراب منه، فما كاد بصره يقع عليهم حتى صاح فيهم جميعا متهما اياهم بالخيانة وانه قد عقد العزم على أن يغسل يديه من كل شىء، وان يغادر البلاد إلى مكة المكرمة للحج. وخرج الباشا قاصدا بيته الخلوى بقرب ترعة المحمودية الذى تعود الذهاب إليه كلما اراد

الاستجمام والراحة قبل السفر بالباخرة إلى القاهرة. ولما لم تكن الباخرة قد تم اعدادها لسفره المفاجئ اغلق البيت وبقى فيه وحيدا. وعندما حضر القنصل الفرنســـى إليــه للاستفسار عن أحواله حتى يمكنه أن يبعث بذلك إلى حكومته رد عليه قائلا " ما فــات فات والمقدر لابد من نفاذه"

وفى اليوم التالى استقل الباخرة إلى القاهرة ثم حبس نفسه فى قصره بشـــبرا وهو فى حالة هيجان وثورة شديدة حتى حضر إليه طبيبه الخاص كلوت بك[١٢] للسهر على راحته والعناية بصحته والتخفيف من همومه. وبعد فترة وجيزة اســتعاد محمــد على وعيه، وعادت إليه ذاكرته، كما فارقه الوسواس، ومن ثم عـــدل عــن زيــارة المسجد الحرام، وأمر بفرض غرامة على كل من يثير حفيظته أو غضبه من رجـــال حاشيته.[١٣]

وأخذ محمد على يدير شئون مصر الخارجية من جديد بعد أن تحسنت احوالــه الصحية فعمل على تسوية علاقاته مع انجلترا وفرنسا والدولة العثمانية فعلى الرغـــم من موقف الانجليز والفرنسيين غير المؤيد لمحمد على خلال تسـوية ١٨٤٠- ١٨٤١ وفرضهم شروطا غير عادلة عليه فقد حاول الباشا اصطناع المجاملة فى صلاته بكــل من هاتين الدولتين وبما لايتعارض مع مصالح مصر، كما حاول الاستفادة من منافسة كل منهما للآخر حول انشاء خطوط مواصلات فى مصر تســـهل حركــة التجــارة العالمية وتربط البحرين المتوسط بالأحمر.[١٤]

وعلى الرغم من اقتناع محمد على بعدم جدوى الاعتماد على فرنســا خــلال مواجهاته مع الانجليز او غيرهم فقد حاول اقامة نوع من التوازن بينهم وبين الانجليز ففى حين تعاون مع الحكومة الفرنسية فى مشروع تحصين السواحل المصرية[١٥] فقــد سعى إلى تحسين علاقاته مع انجلترا خاصة بعد سقوط وزارة الأحـــرار فـــى عـــام ١٨٤١، ونجاح المستر "باورنج" الذى اوفدته الحكومة الانجليزية إلى القاهرة لكســـب ود الباشا. وكان محمد على يستقبله يوميا، ويستمع إلى آرائه ونصائحه وعلى الرغـــم

من ذلك فقد كان محمد على يخشى من نفوذ كلا الدولتين على بلاده بعد أن اقنعته تجاربه الطويلة بأنه لاجدوى من الاعتماد عليهما، لذلك كان حريصا مع التعامل معهما كما كان يخشى من تزايد نفوذهما فى بلاده، لذلك وضع يده على اختصاصات الشركة الانجليزية التى كانت تدير المواصلات النيلية والبرية فى مصر، فاشتراها فى يونيو ١٨٤٢ ونقل اختصاصاتها إليه[١٦]، كما ارغم القوارب والسفن الاجنبية التى تمر فى النيل وفى ترعة المحمودية على أن ترفع العلم المصرى منذ سبتمبر ١٨٤١.[١٧]

ولاظهار رغبة الحكومة البريطانية فى تحسن العلاقات مع مصر أهدت محمد على سفينة بخارية تعبيرا عن تقدير الشعب الانجليزى له، واهدته شركة الهند الشرقية نافورة من الفضة المصقولة[١٨] اعترافا منها بمعاونته وتشجيعه لمشروع الطريق البرى، كما اطلقت اسمه فى عام ١٨٤٢ على احدى بواخرها[١٩] يضاف إلى ذلك أن الملكة فيكتوريا بعثت إليه بصورتها فى إطار مرصع بالاحجار الكريمة[٢٠]

ولم يقتصر امر تقديم الهدايا إلى محمد علي على بريطانيا بل أنعم عليه لويس فيليب ملك فرنسا بالوشاح الأكبر من وسام جوقة الشرف (الليجون دونير).

وذهب ابراهيم باشا فى زيارة إلى فرنسا وانجلترا حيث استقبل فيهما استقبالا حافلا وكان ذلك تعبيرا عن تقدير الغرب لبراعة وعبقرية ابراهيم العسكرية كما فكر محمد على فى زيارة انجلترا بعد أن أكد له وزير خارجيتها اللورد " بالمرستون" بأن ملكة انجلترا ستستقبله الاستقبال الذى يليق بمكانته ولكن هذه الزيارة لم تحدث خاصة وأن الباشا قد هداه تفكيره إلى القيام برحلة بحرية إلى الآستانه فى عام ١٨٤٦ للترويح عن نفسه من ناحية ولاعتقاده بأن النفوذ العثمانى أقل اذلالا وأسهل مقاومة من نفوذ انجلترا وفرنسا[٢١] ، هذا بالاضافة إلى رغبته فى أن يظهر لأوربا حسن نيته واخلاصه للخلافة.[٢٢]

وقد استقبل محمد على فى الآستانه استقبالا حسنا من قبل السلطان عبد المجيد

الذى بالغ فى الترحيب به[٢٣] حيث تلقاه واقفا عند مدخل البهو السلطانى، وأهداه اجود ثمار حديقته[٢٤] وانزله فى أحد قصوره، وتناول الغذاء معه بمفرده، وقدمه بنفسه إلى السلطانه الوالده، وأهدى إليه صورته، كما أهداه رصيعه ماسية زين بها صدره[٢٥] وخلال تلك الزيارة لم ينس محمد على زيارة مسقط رأسه فى مدينة " قوله" حيث وزع الكثير من الأموال على الفقراء هناك، وامر ببناء بعض الأبنية الخيرية لهم[٢٦] كما امر ببناء مدرسة ينفق عليها من ماله الخاص.[٢٧]

وعلى الرغم من تحسن صحة محمد على خلال هذه الزيارة، وعودته إلى القاهرة وهو فى صحة جيدة [٢٨] وحضوره الحفل الذى اقيم لوضع حجر الأساس فى بناء القناطر الخيرية فى التاسع من ابريل ١٨٤٧ فقد ساءت حالته الصحية مرة أخرى، وتغلبت عليه الشيخوخة الحقيقية مما جعله يتخفف من أعبائه السياسية ويفكر فى اعتزال امور الحكم فأنشأ مجلسا أسماه المجلس الخصوصى بغرض ادارة شئون البلاد، وعين على رأسه ابنه ابراهيم باشا وجعل من اختصاص هذا المجلس النظر فى شئون الحكومة، وسن القوانين واللوائح.[٢٩]

وفى هذا المجلس احتفظ ابراهيم بجميع التقاليد التى رسمها والده، وكان نعم العضو فى تصريف الشئون الادارية والسياسية للدولة[٣٠]

ونتيجة لاشتداد وطأة المرض على محمد على، قام برحلة بحرية فى فبراير ١٨٤٨ قاصدا اوربا بناء على مشورة الأطباء بقصد بتديل الهواء، والترويح عن النفس والابتعاد عن متاعب الادارة وشئون الحكم، فابحر إلى مالطة بعد أن عهد إلى حفيده عباس بادارة شئون القاهرة، وإلى ابنه سعيد باشا بإدارة شئون الاسكندرية وأن يقوما بتصريف شئون البلاد فى أثناء غيابه.

وبعد أن مكث يومين بمالطة قصد نابلى حيث كان ابنه ابراهيم يعالج هناك[٣١] واجتمع الأب والابن فى نابلى، وتوجه الاثنان معا إلى مرسيليا ومن هناك ذهب محمد على إلى نيس ليستكمل علاجه فى حين عاد إبراهيم باشا إلى مصر. ولم تسر الأمور

حسب رغبة الباشا فقد وصل إلى مسامعه ابناء الثورة التى قامت فى باريس عام ١٨٤٨ وأطاحت بعرش صديقه "لوى فليب"[٣٢] وعندئذ فكر محمد على تفكيرا عميقا فى أولاده واحفاده الموجودين فى مدرسة باريس[٣٣] "وخدشت أفكاره المخاوف التى ستصيب الكسب التجارى والصعوبة التى ستنشأ عن ادارة المملكة"[٣٤] مما جعله يختصر رحلته ويعود مسرعا إلى الاسكندرية، فوصلها فى الحادى والعشرين من مارس ١٨٤٨.[٣٥] واقام فى قصر رأس التين بناء على طلب الأطباء المرافقين له. وخلال ذلك ساءت حالته الصحية[٣٦] وازدادت عليه العلة وقيل أنه اصيب بضعف شديد فى الدماغ [٣٧] مما أدى إلى تشكيل مجلس من اثنى عشر عضوا لتصريف شئون البلاد وقد تألف من ابراهيم باشا رئيسا وعباس باشا وسعيد باشا وآخرين [٣٨]

ولم يحل صيف عام ١٨٤٨ حتى انتشرت الكوليرا فى القاهرة والاسكندرية مما جعل ابراهيم باشا يبحر إلى رودس فى يوليو اتقاء لخطرها.وفى نهاية اغسطس عاد ابراهيم إلى الاسكندرية ومنها إلى القاهرة حيث اشتد عليه المرض[٣٩]، ومع ذلك فقد اضطلع باعباء الحكم مكان والده وارسل السلطان خطا هما يونيا فى الرابع من يوليو ١٨٤٨ بتقلد ابراهيم باشا ولاية مصر ابتداء من الثاني من سبتمبر ١٨٤٨، واحتفل بالقاهرة بتلاوة الفرمان السلطانى فى منتصف سبتمبر غير أن صحة ابراهيم اخذت فى التدهور يوما بعد يوم، وفى العاشر من نوفمبر ١٨٤٨ توفى ابراهيم باشا بعد أن تزايدت عليه علته الصدرية[٤٠] ونظرا لفقدان محمد على القدرة على الاضطلاع بشئون الدولة[٤١] ، وللألم الجسدى والضعف العقلى الذى ازداد عليه بعد وفاه ابنه البكر انتقلت مسئولية ادارة البلاد إلى عباس باشا حفيد محمد على، والذى كان اقل افراد الاسرة استعدادا للسير على منوال جده فى ادارة شئون البلاد[٤٢] مما أدى إلى تعرض مشروعات محمد على لهزة عنيفة ولم يكن محمد على فى حالة صحية تسمح له بمعرفة ما صنعه حفيده بانجازاته، وكان ذلك من لطف الله به.

وفى ظهر الثاني من اغسطس ١٨٤٩ (١٣ رمضان ١٢٦٦هـ) انتقل محمد

على إلى جوار ربه وهو فى قصره بسراى رأس التين بالاسكندرية[٤٣] عـــن عمـــر يناهز الثمانين عاما فنقل جثمانه إلى العاصمة بطريق النيل إذ لم تكن السكك الحديديـة قد انشئت فى مصر بعد وقد ووارى جسده فى المكان الذى كان قد اختاره ليقـــام فيـــه قبره فى رابيه المقطم فى قلب القلعة[٤٤] حيث يرقد رقدته الابدية، وكانما أراد ان يظل مطلا من ضريحه على القاهرة التى شهد فيها ايام عزه ومجده.

لقد توفى محمد على ذلك العبقرى الذى أنشأ امة وبذل جـــهودا مضنيـــة دون كلل او ملل، وترك بصمات واضحة فى تاريخ مصر بعد أن جمع بين يديه الســـيف والآلة معا، وبدأ عملية تحويل ملامح مصر ذات قسمات العصور الوسطى إلى عـــالم التحديث الذى دخلته مصر اولا من باب الجيش الذى كان آله للفتح والنصر. وكـــان وسيلة لنشر العلم والمعرفة والحضارة فى ربوع البلاد كما حفـــل حكمـــه بـــالاحداث الجسام التى لم يتحقق عن طريقها ما كانت تنطوى عليه نفسه من واسع الأمل وعظيم الرجاء.

obeikan.com

ملحق رقم (١)

رسالة من الفيلسوف الانجليزى بنتهام[٤٥] إلى محمد على باشا فى ابريل ١٨٢٨ بشأن كيفية المحافظة على اصلاحاته وتشجيعه على اعلان استقلاله عن الدولة العثمانية

مصدرها: المتحف البريطانى بلندن وقام بترجمتها ونشرها الاستاذ محمد رفعت[٤٦]

تاريخهـــا: ٢٨ ابريل ١٨٢٨

يا حاكم مصر.....

عرفك الناس منذ زمن انك اكثر الحكام المسلمين تنورا واشدهم رغبة فى الاصلاح ولم يبق الا ان تعمل على ابقاء هذه الاصلاحات وهذه الشهرة الذائعـــة كانت فى الحقيقة احد النجوم السواطع التى ظهرت فى هذا القرن ومـــا عليـك الا ان تزين بجلال اسمك صفحات القرون المقبلة.

وانى سأنبئك بالوسائل اللازمة التى تخلد بها اسمك واصلاحاتك. لقد تحدثـــت مع ثلاثة من الذين عرفوك وخدموك مدة طويلة وهم بكنجهام الانجلـــيزى وبـــرادش وتوماس جاللواى[٤٧] مهندسك الامين ومنهم وقفت على دقائق نفسيتك وسمو اخلاقـك. لقد قال لى جاللواى انك تدين مثلى بالمذهب النفعى أدبيا وسياسيا وان ما ترمى إليـــه من كل اصلاحاتك انما هو ترقية جميع الذين يعملون تحت سلطانك وابلاغهم اقصـــى درجات السعادة وقد ذكر لى انه جاءك وهو لابس رداء العمل فلما علمت بوصوله لـم تستنكف من مقابلته بل تقدمت إليه، وامسكت بيده. وهذا يا حاكم مصر منتهى مكـــارم الاخلاق ودليل على انك بعيد عن صفات التعاظم والكبرياء وانى مثلك امقت الكـــبر وازدريه.

تلك الوسائل التى اشرت إليها هى الدستور والاستقلال وحفيدك عباس الـــذى تعده ليكون ولى عهدك كما يعتقد الجميع. والمسائل الثلاث مرتبطة بعضـــها ببعـــض

ارتباطا متينا فمن غير دستور بسيط قوى الدعائم يستحيل ان تضمن بقاء اصلاحـــاتك التى قمت بها. ومن غير الاستقلال لايمكن ان يولد الدستور. ومن غير ولـــى عـــهد يخلفك على العرش ويحترم الدستور ويحرص على التمسك به ايا كان نوعه يستهدف الدستور وكل ما قمت به من الاعمال للزوال.

تربية ولى العهد: لأجل ان يتهيأ حفيدكم للحكم الدستورى، ويصبـــح شـــغوفا على الدوام بالدستور عاملا على استكماله يجب ان يتربى التربية التى تؤهله لذلـــك. وانى لهذا السبب الح بضرورة وجوده فى لندرة سنتين او ثلاثا يكـــون فيـــها تحـــت اشرافى مباشرة او اشراف صديق أثق به تمام الثقة. وهنا يمكننـــى تعليمـــه التعليـــم الموافق. وسيخبركم جاللواى مهندسكم الامين عنى وعن كفاءتى لتولى هـــذه المهمـــة العالية.

ومتى شيدتم استقلال بلادكم واقمتم الدستور فيها فقد يـــروق لكـــم إذ ذاك ان تزوروا هذه البلاد لتعودوا مع حفيدكم وعند ذلك تزورون مليكنا كمـــا زاره قيصـــر الروسيا حديثا، وكما زاره آخرون من ذوى الرؤوس المتوجه فى ازمنة مختلفة.

وهذه هى الطرق التى اتبعها مع عباس حتى ينشأ على محبتى:

أولا: الطريقة الايجابية وذلك بان اضع حوله كل ما ينقل إليه السرور من غير ألـــم فلايليث ان يعتبر وجودى مصدر سروره واستمتاعه ويصبح شخصى فى نظره رمزا لكل شىء سار وأنيس.

ثانيا: الطريقة السلبية ولا ارى ضرورة استخدامها الا نادرا وبمقتضى هذه الطريقة تصبح ارادتى فى نظره مصدر آلامه والعقبة الكؤرد التى قـــد تقـــف فـــى طريـــق استمتاعه.

وإذا ما طرأت ظروف تتطلب توقيع العقاب عليه فانى افضل ان اتبع الطريقة الاتية دون سواها وهى ان احرمه من الاستمتاع بشئ منتظر اما العقابات الجثمانيـــة

فلا ارى امكان الالتجاء اليها.

أما عن الكتب فأشير عليه بقراءة مقالات فولتير وتاريخ الهند للاستاذ مل، وتاريخ انجلترا لهيوم، والتاريخ العام، وتاريخ الثورة الفرنسية والثورة الامريكية، وتاريخ الاسلام والروسيا وتاريخ الحروب الدينية.

أما عن الجامعة التى يجب أن يلحق بها فأشير بجامعة لندرة وأما اكسفورد وكمبردج فهما معاهد التعصب، والكذب، الرياء، والتقاليد الرثه.

الاستقلال: اما عن الاستقلال فمما يدعو إلى استغرابى واستغراب العالم أجمع هو استمرار تبعيتك للسلطان الفعلية او الظاهرة. ولابد أن يكون ذلك راجعا إلى بعض اسباب خاصة ليس فى طاقة الاجانب ادراكها فان مركز مصر إذا تم وصل البحرين ببعضهما سيمكنك من ان تقف حكما بين انجلترا وفرنسا متى كنت مستقلا اما وانت تابع فلا يمكنك عقد اية معاهدة مع اية دولة اجنبية. حقا قد يكون فى وسعكم ان تعقدوا هدنه. وفى استطاعه اى قائد ان يعقد هدنه، ولكنه لا يستطيع ابرام معاهدة تبقى نافذة المفعول طويلا. اما اذا اعلنتم استقلالكم فلن تكون هناك دولة اجنبية لا تستطيعون ان تبرموا معها فى الحال المعاهدات التى توافقكم وعند ذلك سرعان ما تأخذون مكانكم بين ملوك اوربا.[٤٨] وليت شعرى لماذا لاتكونون مثلهم قارنوا بينكم وبينهم من حيث عدد السكان والايراد فاذا وجدتم من يمتاز عليكم فانكم ستجدون من بينهم كثيرين ممن هم اقل منكم مالا ونفرا. فهذه المانيا فيها من الممالك المستقلة سكسونيا وورتمبورج وهانوفر وفى اوربا الدانمارك والبرتغال والسويد.

بقى تعيين اللقب الذى يوافقكم متى اصبحتم مستقلين. ان لقب الباشا يدل على التبعية فلايمكن اتخاذه. ولاشك انكم تعرفون اللقب الذى يقلب به صاحب الامر فى مراكش. انه يلقب بما يعبر عنه الافرنج بكلمة " امبراطور" هذا هو اللقب الذى يجب ان تتخذوه وهو لقب يعد اعظم من لقب ملك.[٤٩]

وأما بشان علاقتكم مع السلطان فاما ان تكونوا على وفاق معه او على خلاف

فاذا كنتم على خلاف فليس هناك مصاعب تعترض سبيلكم اذا اعلنتم الاستقلال ما دمتم واثقين من شعبكم ومن ضباط جيوشكم على الاخص.

ولكن إذا فرضنا وجود الوفاق بينكم وانكم راغبون فى استمرار هذه المودة فيلوح لى انكم تستطيعون متى كنتم مستقلين وعلى اتفاق مع السلطان ان تقدموا له خدمات اجل وانفع مما تقدمون وانتم فى حالة التبعية على انكم تعلمون حاجة السلطان للمال فارسلوا إليه القدر الذى تريدون ارساله وانتم فى حالة الاستقلال كما لو كنتم فى حالة التبعية.

وقد تحصلون بواسطة المعاهدات على موافقة الدول المعادية للسلطان مادام الامر الذى يهم الدول هو استطاعتكم ان تنفذوا فى الخفاء ضد رغبة الدول ما يمكنكم تنفيذه بموافقتهم . اما إذا لم يصغ السلطان إلى مطلبكم وترفع عن اجابتكم فما عليكم الا ان تصارحوه القول بعبارات لائقة كما هو شأنكم. قولوا به " إذا اعترفتم باستقلالى منحتكم مقدار كذا من المال فىميعاد محدد واما إذا رفضتم فانى انضم إلى الحلفاء ضدكم"[٥٠]

الدستور: اما عن الدستور فاقترح ان تكون حكومتكم ملكية فى مستوى الحكومات الملكية وضمن دائرتها الودية، وان تقسم المملكة إلى خمسين دائرة انتخابية ينتخب عن كل دائرة عضو، ومن الاعضاء الخمسين يتكون مجلسكم او ديوانكم[٥١] ويكون حق الانتخاب لكل فرد اقام مدة معينة فى الدائرة، ويكون عارفا بالقراءة والكتابة ويجب ان تكون طريقة الانتخاب بالتصويت السرى العام.

ايها الرجل العظيم:

إن العالم لم يعرفك للان حق المعرفة، وكلما ازدادت معلومات النلس عنك استفاد العالم واستفاد الوطن الذى اوجدته بل استفاد النوع الانسانى باكمله.[٥٢]

أنتهى،،،

ملحق رقم (٢)

تعليمات محمد على إلى نجله إبراهيم بمناسبة سفره[٥٣]

فى خلال سفر إبراهيم إلى أوربا، وقبيل مغادرته توسكانيا للذهاب إلى فرنسا وانجلترا، تلقى من والده، الوالى، التعليمات الآتية، وقد نقلها المسيو جاستون فييت عن " محفوظات قصر عابدين العامر – سجل ٢١٥، رقم ٢٥٣ –٤" ونشرها مترجمة إلى اللغة الفرنسية فى " مجلة القاهرة".

إرادة إلى السر عسكر فى السابع عشر من ذى القعدة سنة ١٢٦١

(الموافق السابع عشر من نوفمبر سنة ١٨٤٥) بعابدين

بلغنى كتاب دولتكم المرقوم فى سلخ شوال سنة ١٢٦١ (الثلاثين من اكتوبر سنة ١٨٤٥) الذى جاءت فيه بشرى اكتسابكم الصحة والعافية يوما فيوم، واخبرتم انكم ستذهبون بعد مرور خمسة وأربعين يوما إلى الحمامات الكبريتية، الواقعة بين فرنسا واسبانيا، فأوجب خبر عافيتكم زيادة سرورى الأبوى.

وبما أن دولتكم ستسافرون بعد انقضاء مدة إقامتكم فى تلك الحمامات إلى باريس وانجلترا، فقد وضعنا وصايا (تعليمات) مكونة من ستة بنود، وأرسلناها إليكم طى كتابنا، لتكونوا على خبرة وبصيرة بأصل المحادثات التى تتصل بالمصلحة، فتجيدوا الاجابة عنها. والمأمول أن تقرأوه، فتجيبوا عند اللزوم، طبق ما تقتضيه تلك البنود. وتسرونا بعد ذلك ببشائر صحتكم.

التعليمـــــات

١) إذا سافرتم إلى فرنسا، والتقيتم بمليكها ووزرائها وسائر كبرائها، ودار الحديث حول أحوال مصر السياسية، فينبغى أن تقولوا: " إن والدى قد أيقن منذ أن ولى الحكم، درجة محبة الفرنسيين واحترامهم لشخصه وأسرته، وأنهم لم يضنوا عليه

بتقديم المساعدات اللازمة فى سبيل تقدم البلاد، فأدى واجب الشكر فى كل مناسبة، ولم يأل جهداً فى توصية اسرته واتباعه وقرابته، واسداء النصح لهم، بأن يقـــدروا قيمة حسن معاملة الفرنسيين لمصر. ولا ريب أننا سنظل عاملين بوصية والـــدى ونصحه، فنفوز بمحبة الفرنسيين ومودتهم.

٢) ولكم بعد سرد هذه المقدمة، أن تبسطوا أحوال مصر السابقة، وتدخلوا فى تفصيل المساعى والجهود، التى بذلت فى توطيد الأمن والطمأنينة فيها، وتأسيس عمرانها.

٣)وإذا فاتحوكم فى مسألة قناة السويس، فقولوا لهم إن حقيقة الحال أنه ليـــس هنـــاك صعوبة مافى حسن حصول تحقيق هذا الأمل. إلا أن حفر هذه القناة قد يصـــــادف أثناء الاشغال الجسيمة، الدائرة فى إنشاء القناطر الخيرية. وقـــد اضطررنـــا إلـــى تأجيل حفرها، إلى الوقت المرهون. ومع ذلك، فإننا نرمى راغبين فى حفر هـــذه القناة من كل جانب، حتى إذا تم إنشاء القناطر، فلا صعوبة على مصر أن تقـــوم بحفرها.

٤) وإذا تكلموا عن ترتيبات الأسطول، فعليكم أن تردوا عليهم بالجواب التالى:

" كانت الحاجة قد دعت من قبل إلى اقتناء طائفة من السفن، ولم يبق لها ضـــرورة فى الزمن الحاضر. غير أنه من الأسف أن تترك، فتكون عرضة للتلف بأســـرها. من أجل ذلك، رأينا من المناسب أن تبذل الجهود فى إصلاحها ومرمتـــها. وإنـــى لأعلم ان والدى مصمم على إنشاء عدد من البواخر، كلما سمحت الحالـــة بذلـــك، لشدة الحاجة إلى البواخر فى هذه الآونـــــة".

٥) وإذا قدمتم إنجلترا، فقولوا للإنجليز، كلما وقعت مناسبة: " إن والدى قد علم وقدر مدى أهمية صداقة إنجلترا لمصر، وأيقن ذلك، نظرا لموقع مصر الجغرافى. ويعلم بذلك من الكتاب الذى كتبه الدوق ولنكتون حوالـــى ســـنة ١٨٣٠ ميلاديـــة، إلـــى المستر باكر، قنصل إنجلترا بمصر فى ذلك العهد، بأن الدولة الإنجليزية اعتـــبرت

الأجوبة الصائبة التى أجاب بها على إفادات واشارات الدولة المشار إليها، بشـــان موضوع الجزائر مقبولة. وبناء على ذلك ، لم يخل والدى من تلقينى، أنا وجميـــع أفراد العائلة، وملء آذاننا بأن صداقة دولة انجلترا لمصر، وخدمة مصر فى مقابل صداقتها، هما من قبيل اللازم والملزوم. كما أنه، بصفة خاصة، لم ينقطع ابدا عـن التنبيه علىّ ، المرة بعد الأخرى، قائلا: " اسع جهدك فى تلقين هذه الفكـــرة إلـــى اسماع افراد عائلتنا، وأملاً أذهانهم بها" وأنا بفضل الله وكرمه، ولم اخـــرج عـــن نصيحته، كما اننا نعتبر صداقة دولة عظيمة كانجلترا، نعمة عظمـــى لنـــا علـــى الدوام.

) وإذا سألوكم عن مسألة المواصلات (الامرارية) فى الوقت الحاضر، فـــأجيبوهم بأن الصعوبات التى كانت قائمة فى سبيلها قد أزيلت، وتقرر أن تتولى الحكومـــة اعمال المواصلات. وسينفذ هذا القرار. غير انه قد نيط بتنفيذ هذا القرار التمـــاس تفويض أمر البريد إلى الحكومة المصرية، ذهابـــاً وأيابـــاً، اســـوة بغيرهـــا مـــن الحكومات فى سائر البلاد، ونحن نرجو أن تنتهى هذه المسألة ايضا إلـــى نتيجـــة حسنة.

ملحق رقم (٣)

انتقال المرحوم محمد على باشا الكبير إلى دار الخلد والبقاء[٥٤]

فى ١٣ رمضان سنة ١٢٦٥ انتقل إلى رحمة الله تعالى محمد على باشا الذى كان واليا على مصر ابتداء من ١٣ صفر سنة ١٢٢٠ واعتزل الولاية لمرضه فى ٢٣ شوال سنة ١٢٦٤ وفى مدة ولايته على مصر احياها بعد سقوطها، وانتشلها من وهدتها هذا الرجل المتمحض فى الوطنية والاخلاص فى كل عمله والذى جعل مصر ترتقى إلى اوجه السؤدد والفلاح حتى اصبحت فى عصره فى مقدمة الدول صاحبة الشأن لانه بارتقائه اريكة الحكم جلس معه على تلك الاريكة يشاركه فى حكمه العدل والدين الصحيح ولقد خدم الملأ باسره بتقديمه له صورة عقلية تشخص للناس حقيقة الجمع بين الروحانية والشجاعة. ولقد تذكرنا بذلك حوادثه الشهيرة العظيمة الشأن التى تقدم للمطلعين فوائد غراء تنطبع فى مخيلاتهم منقوشة على احجار لاتقوى معاول الدهر على محوها فلقد كان رجوع العمل إلى ربوعه معقودا بنواصى محمد على باشا، والتأسيسات التى كانت وسيلة للنتجية الميمونة الطالع لانشاء الجيش المصرى بالنسبة للتمدين لان الحرب وان كانت مجلبة للمصائب التى تتبعها فانها كانت من اقوى البواعث على ايجاد التمدين.

فإنه مامن انقلاب ميمون الا كان ناشئا عن حرب متوجه باسم فاتح وان اعظم الرجال الذين تركوا من بعدهم جميل الذكر مما بهر العقول مثل الاسكندر وقيصر وشرلمان ونابليون كانوا قبل كل شئ محاربين وكان حضرة صاحب النبوه والرسالة صلوات الله عليه وخليفتاه ابوبكر وعمر رضوان الله عليهما، وساكن الجنان محمد على باشا كانوا قبل كل شئ مجاهدين، ولايوجد برهان على تأثير الحرب مباشرة فى جميع فروع التمدين أحسن مما جاء به فى حالة مصر.

وذلك أن كل شئ فيها كان على قدم الاجراء والعمل وكل شئ بدأ فى عالم الوجود عقب الترتيبات العسكرية فمحمد على باشا هو الذى ادرك مزايا فن تعبئة

الجيوش، ولزمه قبل كل شئ أن يجد فى البحث عن تقويه نفسه، ورأى انه لاينال ذلك الا بقوة السلاح، وكان شغله الشاغل تشكيل جيش، فكان جيشه فى الحقيقة جالبا لاستتباب الأمن داخل البلاد ناشرا لواء سطوته فى الخارج. فتشكيل جيش منظم انتج النتائج العمومية الجزيلة الفائدة العائدة لمصر...

فأوجد النظام المحكم فى قطر كان لايعرف الا الفوضى والهمجية وكان معرضا لسلب ونهب وايذاء العساكر الاشرار الظلمه الذين كانوا بمصر من قبل وامرائهم.

وبذلك انتظمت الأمور، ووجدت القوة، وحل ذلك محل الضعف والاضمحلال ، ورفع شأن الامة العربية واهلها لسريان الروح الملية فيها، واباء الضيم والتعويل على نفسها وهى الصفات اللازمة لامة مستقلة، ومن سعد طالع مصر أن النتائج العلمية التى بدأت فى الحال كثيرة متعددة فى لفت الانظار. ويمكن ان يقال أنها كانت السبب فى جميع انواع التقدم والرقى الذى تكامل فى مصر فى عصر حكمه السعيد.

وقصارى القول ان تلك المصالح والدواوين ونظارات حكومة محمد على باشا تولى ادارتها رجال ممن تربوا فى مدارسه او فى البعوث فاداروا دواليب حركتها على منهج لم يكن له مثيل بمصر من قبل.

ملحق رقم (٤)

نبذة تاريخية عن وفاة محمد على وابنه ابراهيم(٥٥)

توفى محمد علٰى فى اليوم الثاني من شهر اغسطس ١٨٤٩، وقد ناهز عمره الحادية والثمانين، ولكنه كان منذ اوائل السنة السابقة لوفاته قد فقد كل قدرة على الاضطلاع بشئون الدولة إذ خبا عقله الجبار، ولم يكن ذلك راجعا إلى التقدم فى السن ولا للجهود المستمرة التى بذلها بقدر ما كان راجعا إلى الأسى ومرارة الخيبة السياسية التى قدر له ان يصاب بها.

تولى ابراهيم باشا وصاية العرش سنة ١٨٤٧م ولم يكن ابراهيم حتى هذا العهد المنفذ الجرىء لخطط ابيه الحربية فحسب بل كان له ايضا وبخاصة خلال السنوات الاخيرة من حكمه نعم العضد فى تصريف الشئون السياسية والادارية للدولة. على ان ابراهيم باشا لم يتحمل مسئولية الحكم كاملا الا بعد ان تلقى ولاية السلطة رسميا (يوليو ١٨٤٨) ولم يشأ ان يقبل هذه السلطة الا بعد ان اصبحت حالة الباشا الهرم لا يرجى منها شفاء.

ولم يكن تبديل شخصية الوالى ليدخل شيئا من التغيير على وسائل الحكم فقد ساس ابراهيم باشا شئون الدولة على النسق الذى رسمه ابوه وبالروح التى اتخذها لنفسه إذ لم تكن وشيجة الدم هى وحدها التى تجمع بين الوالد وولده بل كان بينهما ايضا توافق فى التفكير، وفى الشعور فقد كان كل منهما يرمى إلى اغراض سامية واحدة، وتحركه نفس الارادة التى لاتقهر.

لم يكن اذن من بين افراد اسرة محمد على رجل أجدر من ابراهيم باشا بمواصلة ذلك العمل العظيم. وكانت وفاة ابراهيم باشا المبكرة (١٠ نوفمبر ١٨٤٨) التى دهمت البلاد واشاعت فيها قلقا خسارة فادحة لمصر. مما زاد من كبر الطامة ان عباس الاول اكبر افراد الاسرة سنا، وصاحب الحق تبعا لذلك فى ان يخلف ابراهيم كان من بين افراد الاسرة اقلهم استعدادا للسير فى هذا السبيل.

ملحق رقم (٥)

نسب الاسرة الحاكمة فى مصر منذ ١٨٠٥ وحتى ١٩٥٢

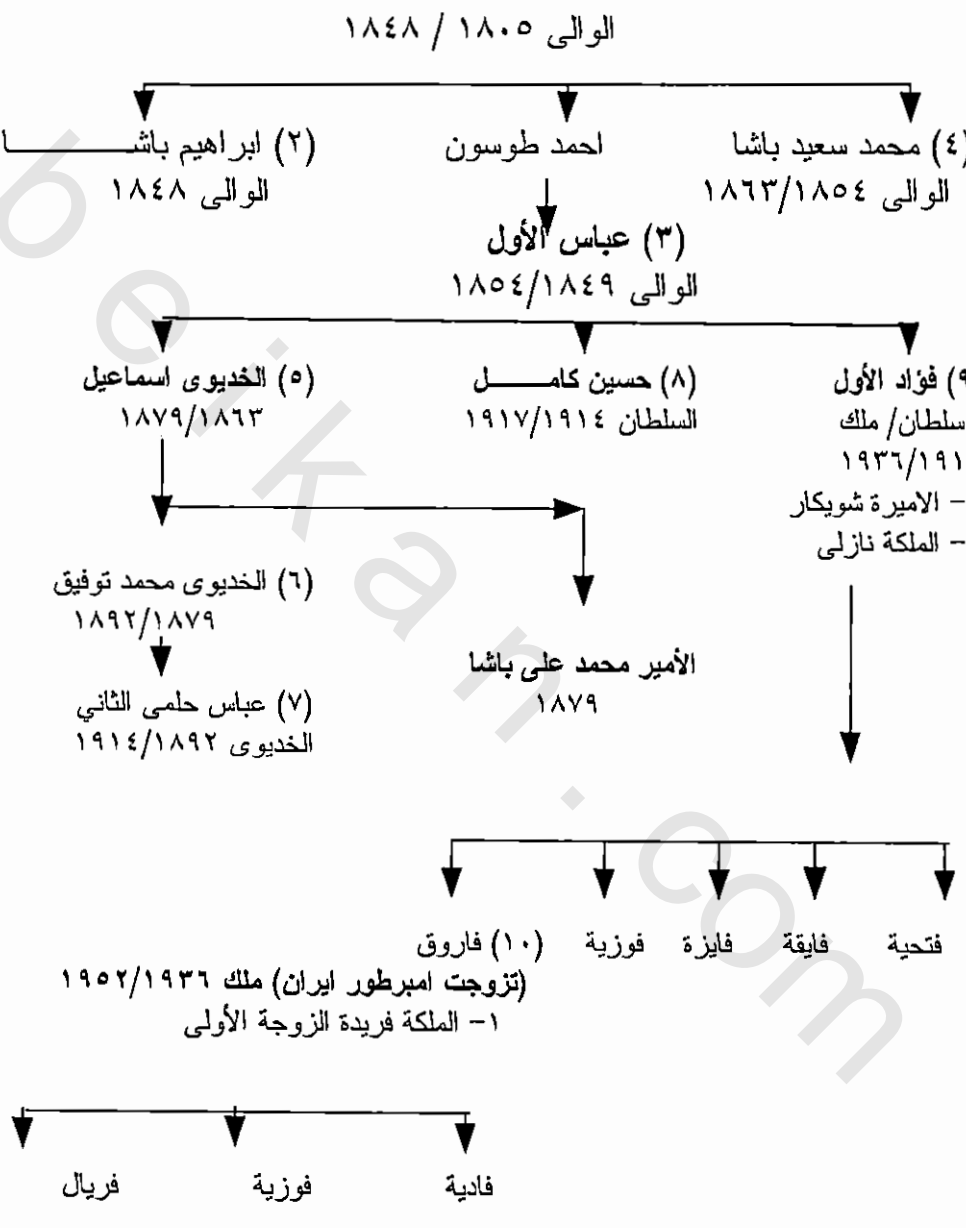

الصادر والمراجع

أولا: الـــــوثائـــــــــق:

- دار الوثائق القومية بالقاهرة.
- محافظ الابحاث ، محفظة ١٣٠ تراجم، ومحفظة ١٣٥ ملف الوثـــائق والمكاتبـــات الواردة للترجمة من الديوان.
- ومحفظة ١٤٩: المذكرات الخاصة بتحقيق تثبيت محمد علـــى وانســاب الاســرة المالكه.

ثانيا: المخطوطـــــــــــــات:

- محمد عارف باشا عضو مجلس الاحكام بمصر: عبر البشر فى القرن الثالث عشر، مخطوط بدار الوثائق ضمن محفظة ١٤٩ ابحاث.

ثالثا: المؤلفات العربية:

- احمد عبد الرحيم مصطفى: علاقة مصر بتركيا فى عهد الخديـــو اســماعيل، القاهرة، دار المعارف ١٩٦٧.
- ادوارد جوان: مصر فى القرن التاسع عشر: ترجمة محمد مســـعود، القـــاهرة ١٩٢١.
- اسماعيل سرهنك: حقائق الاخبار عن دول البحار، جـــ٢ القـــاهرة، المطبعـــة الاميرية ١٨٩٦.
- الياس زاخوره: مرآة العصر فى تاريخ ورسوم اكابر الرجال بمصـــر، جـــ١ القاهرة، المطبعة العمومية، ١٨٩٧.
- بيير كرابيتيس: ابراهيم باشا – ترجمة محمد بدران– القـــاهرة لجنـــة التـــأليف والنشر، ١٩٣٧.

-رينيه وجورج قطاوى: محمد على وأوربا، القاهرة، الجمعية الملكية للدراسات التاريخية، ١٩٤٩.

-شيوه كار (الأميرة): بلادى - احياء مجد - محمد على باشا - ترجمة اميل مراد، القاهرة، مطبعة المعارف ، د.ت.

-عبد الرحمن الرافعى: تاريخ الحركة القومية وتطور نظم الحكم فى مصر، جـ٣، عصر محمد على ، القاهرة، النهضة المصرية ١٩٣٠.

-كريم ثابت: محمد على، القاهرة، مكتبة المعارف، د.ت

-محمد طلعت عيسى: اتباع سان سيمون فلسفتهم الاجتماعية وتطبيقاتها فى مصر، القاهرة ١٩٦٣.

-محمد فريد: البهجة التوفيقية فى تاريخ مؤسس العائلة الخديوية. القاهرة، مطبعة المعارف د.ت.

-محمد فؤاد شكرى: بناء دولة مصر محمد على - السياسة الداخلية، القاهرة، دار الفكر العربى ١٩٤٨.

-هنرى دودول: محمد على مؤسس مصر الحديثة- تعريب احمد عبد الخالق وعلى شكرى ، القاهرة، مكتبة الاداب، د.ت

رابعا: المراجع الأجنبية:

- **Farnie, D.A: East and West of the Suez, : The suez canal in History 1854 - 1856, Oxford, 1969.**
- **Hallberg, C.W: The suez canal : Its History and Diplomatic importance, London 1931.**

خامسا: الدوريـــــــــــــــــــــات

الهلال المجلد ٥٥ الجزء السابع، ص ١٠٥ دراسة لمحمد رفعت بك بعنـــــوان عندما اهدت الملكة فيكتوريا صورتها إلى محمد على.

obeikan.com

الهوامش

(١) دار الوثائق القومية: محافظ ابحاث، محفظة ١٣٠ تراجم.

(٢) عن نص معاهدة لندن ١٨٤٠، والخط الهمايونى المانح محمد على ولاية مصر بطريق التوارث تحت شروط معلومة والمؤرخ ١٣ فبراير ١٨٤١.

أنظر: احمد عبد الرحيم مصطفى: علاقات مصر بتركيا فى عهد الخديو اسماعيل، القاهرة، دار المعارف،١٩٦٧، ص ٢١٣-٢٤٤.

(٣) بمرور الوقت تضاءل انتاج هذه المصانع وأغلق معظمها، واضطر محمد على إلى التخلى عن نظام الاحتكار فى ميدانى الزراعة والصناعة والتجارة. والأخذ بمبدأ الحرية التجارية تطبيقا للفرمانات السلطانية وعملا باتفاقات بلطه ليمان وبعد أن اقر معاهدة لندن ١٨٤٠ ورضى بشروطها.

(٤) عبد الرحمن الرافعى: تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر، جـ٢، عصر محمد على، القاهرة، النهضة المصرية ١٩٣٠، ص ٦٣١.

(٥) يذكر كرابيتيس ان ابراهيم باشا كانت تنتابه اضطرابات عقلية وانه كان مصابا بالارق لدرجة انه كان لايستطيع النوم خاصة وانه كان يرى فى احلامه اشباح القتلى الذين ازهق ارواحهم.

أنظر: ابراهيم باشا – ترجمة محمد بدران – القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٧ ، ص ٢٨٢.

(٦) رينيه وجورج قطاوى: محمد على وأوربا، القاهرة، الجمعية الملكية للدراسات التاريخية، ص ١٩٩.

(٧) من أبرز الامثلة على ذلك ان أوامره بشأن احصاء سكان مصر لم تنفذ بدقة.

أنظر: كريم ثابت: محمد على ، القاهرة، مكتبة المعارف، ص ٢٩٤.

(٨) محافظ عابدين: كتاب دورى فى ٢ جمادى الثانية ١٢٥٩هـ.

(٩) نفسه.

(١٠) دار الوثائق: محافظ ابحاث، محفظة ١٣٥ ملف الوثائق والمكاتبـــات الـــواردة للترجمة من الديوان. صورة التقرير الذى طلب محمد على باشا وضعه متضمنـــا اسداء النصح لاعضاء اسرته والمقدمين من رجاله فـــى ١١ محـــرم ١٢٦٣هـــ/ ١٨٤٦م.

(١١) الشبك أو الشبق تعنى النارجيلة، والشبوق جى تعنى مسئول الشيشة.

(١٢) طبيب فرنسى جاء إلى مصر فى عام ١٨٢٥، وعين طبيبا خاصا لمحمد على، كما انشأ مستشفى، ومدرسة للطب فى ابى زعبل ثم نقلهما إلى القصـــر العينـــى، وتولى ادارتهما حتى عام ١٨٥٨.

(١٣) هنرى دودويل: محمد على مؤسس مصر الحديثة – تعريب أحمد عبد الخـــالق وعلى شكرى– القاهرة، مكتبة الآداب، د.ت ، ص ٢٩٢ – ٢٩٣.

(١٤) رغبت بريطانيا الاتجاه نحو طريق السويس بانشاء طريق برى فعرضت اقامـة مشروع للسكك الحديدية بدلا من مشروع انشاء القناة التى كانت تفضلـــه فرنســـا، بينما نظرت فرنسا إلى هذا المشروع على انه مؤامره بريطانية يقصد بها القضـــاء على نفوذها فى الشرق. ولما كانت موافقة محمد علـــى ضروريـــة فقـد حـــاولت الحكومة البريطانية اقناعه بمشروع السكة الحديد بدلا من مشروع القناة كما حـاول القنصل الفرنسى اقناعه بعكس ذلك وإزاء هذه المنافسة عارض محمد على اقامـــة كلا المشروعين وفضل تنفيذ مشروع قناطر الدلتا.

- Hallbery, C.W: The suez canal its History and Diplomatic importance, London 1931.

وعلى الرغم من محاولات اتباع سان سيمون من اقناع محمد على بفكرة وصـــل البحرين المتوسط بالأحمر، فانه عارض هذه الفكرة للتفاصيل انظـــر. د./ محمـد طلعت عيسى: اتباع سان سيمون فلسفتهم الاجتماعية وتطبيقاتها فى مصر، مطبعـة جامعة القاهرة، ١٩٦٣.

(١٥) احمد عبدالرحيـــم مصطفـــى:علاقـة مصـــر بتركيـــا فـــى عـــهد الخديـــو

اسماعيل،القاهرة،دار المعارف،١٩٦٧،ص ٧.

(١٦) ارادت الحكومة الانجليزية ان تقيم نظام نقل البريد على اساس ثابت بينها وبين مصر حتى لايتعرض فى المستقبل لأى خطر بعد وفاه محمد على، وكانت هذه الحكومة تشعر فى الوقت نفسه بجرح إذا عقدت الاتفاق مع محمد على رأسا دون الرجوع إلى الآستانه مما اغضب محمد على وجعله يصدر قراره بتأليف شركة حكومية اسماها شركة الترانسيت (تجارة المرور الاميرية) وتم الاتفاق مع الانجليز على ان تقوم مصر بنقل البريد الانجليزى مقابل ٤٠ قرشا عن كل رطل وخمس بارات(٤٠ بارة توازى قرشا)عن كل ورقة او جريدة مطبوعة.

أنظر: الهلال المجلد ٥٥ الجزء السابع دراسة للاستاذ محمد رفعت بعنوان عندما اهدت الملكة فيكتوريا صورتها إلى محمد على.

(١٧) Farnie, D.A: East and West of the Suez. The Suer canal in History 1854-1956 oxford P. 19-21

(١٨) بلغ ارتفاعها عشرة اقدام، وقطرها اربعة اقدم،وكانت تزن حوالى عشر اوقيات ونصف الهلال المجلد ٥٥ الجزء السابع دراسة للاستاذ محمد رفعت بعنوان عندما اهدت الملكة فيكتوريا صورتها إلى محمد على.

(١٩) Farnie : Op, cit , P.P 19-21

(٢٠) رينيه وجورج قطاوى: المرجع السابق، ص ١٩٥-١٩٦.

(٢١) احمد عبد الرحيم مصطفى: المرجع السابق، ص ٨.

(٢٢) اسماعيل سرهنك: حقائق الاخبار عن دول البحار، جـ٢، القاهرة، المطبعة الاميرية، ١٨٩٦، ص ٢٥٧.

(٢٣) كريم ثابت: المرجع السابق، ص ٢٩٤.

(٢٤) ادوارد جوان: مصر فى القرن التاسع عشر، ترجمة محمد مسعود ، القاهرة، ١٩٢١، ص ٨٢٨.

(٢٥) الهلال، المجلد ٥٥ الجزء السابع، ص ١٠٥ دراسة الاستاذ محمد رفعت سابقة

الذكر.

(٢٦) الياس زاخورة: مرآة العصر فى تاريخ ورسوم اكابر الرجال بمصر، جـــــ١، القاهرة، المطبعة العمومية، ١٨٩٧، ص ٢٤.

(٢٧) كريم ثابت: المرجع السابق، ص ٢٩٤.

(٢٨) كتب توسيجه قنصل اليونان فى مصر إلى حكومته يقول: "إن الباشـــا يســـتمتع بصحة جيدة للغاية" وذكر دودويل المؤرخ الانجليزى المعروف ان صحـــة محمـــد على تحسنت خلال هذه الزيارة وانشرح صدره انشراحا لم يتمتع بـــه منـــذ عـــام ١٨٤٠.

أنظر: محمد فؤاد شكرى: بناء دولة محمد على – السياسة الداخلية – القـــاهرة، دار الفكر العربى ١٩٤٨، ص ٢٠٥، وهنرى دودويل: المرجـــع الســـابق، ص ٢٩٤-٢٩٥.

(٢٩) انشئ هذا المجلس بالقاهرة فى يناير ١٨٤٧ وكان اعضاؤه عباس باشا حفيـــد محمد على، وأحمد باشا يكن، وحسن بك رئيس جمعية الحقانيـــة، وبرهـــان بـــك الرافعى: مرجع سابق، ص ٦١٦ – ٦١٧.

(٣٠) الأميرة شيوه كار: بلادى-احياء مجد-محمد على باشا، ترجمة اميـــل مـــراد، القاهرة، مطبعة المعارف، ١٨١.

(٣١) سافر إبراهيم باشا إلى اوربا فى أواخر اغسطس ١٨٤٥ للاستشفاء من مـــوض الدوزنتريا المزمنة التى كان يشكو منها ومن نزلة معوية حادة اصابته وقد تســـابقت الدول الاوربية فى الحفاوة به والمبالغة فى استقباله.

(٣٢) تولى حكم فرنسا بعد اقصاء شارل العاشر عن العرش، وقبل الانضواء تحـــت علم الثورة الفرنسية والسير على النظم الديمقراطية، ولكـــن تســـاهله الزائـــد مـــع بريطانيا، وعدم اهتمامه بامر رجال الدين واصطدامـــه مـــع التيـــار الجمـــهورى الاشتراكى الذى كان ينادى به اتباع سان سيمون ويدعو إلى ضرورة تنظيم العمـــل

والغاء مبدأ التوريث واصلاح احوال الطبقات أدى كل ذلك إلى قيام الثورة ضده والهرب إلى بريطانيا.

* للتفاصيل أنظر: عبد المنعم الجميعى: العالم الأوربى فى التاريخ الحديث والمعاصر منذ عصر النهضة إلى عصر البيروسترويكا، القاهرة ١٩٩١، ص ١٣٠.

(٣٣) يقصد بها المدرسة المصرية فى باريس والتى انشئت فى عام ١٨٤٤ وتولى ادارتها اسطفان بك، واستمرت تؤدى عملها حتى عام ١٨٤٨ وكان بهذه المدرسة اربعة من الامراء منهم اثنان من ابناء محمد على وهما الأمير عبد الحليم والأمير حسين، واثنان من ابناء ابراهيم باشا وهما الامير اسماعيل (الخديو) والامير احمد.

* للتفاصيل أنظر: عبد الرحمن الرافعى: عصر محمد على، القاهرة، النهضة المصرية، ١٩٥١، ص ٤٧٨.

(٣٤) محمد عارف باشا: عبر البشر فى القرن الثالث عشر. مخطوط ضمن محفظة ١٤٩ ابحاث.

(٣٥) محمد فريد: البهجة التوفيقية فى تاريخ مؤسس العائلة الخديوية، القاهرة، المطبعة الاميرية ، ص ١٨١.

(٣٦) ذكر القنصل الانجليزى شارلز مرى Charles Murray ان الباشا بعد عودته كان فى حالة محزنه من الضعف الجسمانى والفكرى. انظر فؤاد شكرى: المرجع السابق، ص ٢٠٥.

(٣٧) محمد عارف باشا: المخطوط سابق الذكر، ٥١.

(٣٨) هم كامل باشا، وشريف باشا، وسامى باشا، واحمد يكن باشا وصبحى بك، وحسن بك، وأرتين بك، وراتب بك وزكى افندى.

أنظر: كريم ثابت: المرجع السابق، ص ٢٩٥.

(٣٩) يذكر احد شهود العيان ان إبراهيم باشا كان لايستقر له قرار من شدة المرض الذى كان يعانيه.

أنظر: محمد عارف باشا: المخطوط سابق الذكر، ص ٥٢.

(٤٠) كرابيتس: المرجع السابق، ص ٢٨٢.

(٤١) دار الوثائق محافظ ابحاث محفظة ١٣٠ تراجم.

(٤٢) عمد محمد على إلى تدريب حفيده عباس على تولى شئون البلاد المختلفة فعينه مديرا للغربية ولم يتعد عمره الحادية والعشرين الا انه ابدى تراخيا ملحوظـــا فـــى القيام بمهام عمله الامر الذى دعا جده لارسال خطاب إليه يحثه فيه على العمـــــل، ويطالبه بالالتفات لاشغاله وترك الراحة، والا فانه سيعزله من وظيفته، وإلى جانب ذلك فقد أضيفت إلى عباس فى حياة جده مهمة التفتيش على الأقاليم البحرية كمـــا تولى رئاسة دواوين الحكومة وحصل ايضا على لقب كتخدا.

(٤٣) اسماعيل سرهنك: المرجع السابق، جـ٢ ، ص ٢٦٠.

(٤٤) قطاوى: المرجع السابق، ص ١٩٩.

(٤٥) جيريمى بنتهام الفيلسوف والمتشرع الانجليزى الشهير والذى عـــاصر فـــترة طويلة من حكم محمد على لمصر.

(٤٦) انظر: المتقطف فى يونيو ١٩٢٢ تحت عنوان ذكرى محمد على الاكـــبر، ص ٦٤-٦٦.

(٤٧) كان جاللواى Gallaway مهندسا فى خدمة محمد على.

(٤٨) تشجيع بنتهام لمحمد على على اعلان استقلاله عن الدولة العثمانية لما فيه مـــن الفوائد له وحتى يستطيع ان يأخذ مكانه بين حكام اوربا.

(٤٩) اغراء محمد على بالمناداة بنفسه امبرآطورا.

(٥٠) كانت الدولة العثمانية فى حالة حرب مع روسيا فى ذلك الوقت، وفى خلاف مع انجلترا وفرنسا بسبب حرب المورة، وكان محمد على قد آثر الانسحاب بما تبقـــى

من قواته فى بلاد اليونان والاتفاق مع انجلترا وحلفائها على خروجه من هذه الحرب مما ضايق السلطان، وجعل محمد على يراجع خطته تجاه الباب العالى الذى لم يكافئه على خدماته رغم تحطيم اسطوله.

للتفاصيل انظر بحثنا معركة نفارين البحرية ١٨٢٧ – دراسة فى وثائق العية السنية.

(٥١) كان عدد سكان مصر فى ذلك الوقت يتراوح بين ثلاثة ملايين ومليونين ونصف نسمة ومعنى ذلك ان نسبة التمثيل ستكون واحد لكل ما بين ٥٠٠ الف وستين الف نسمة.

(٥٢) يدل هذا الخطاب فى مجمله على اهمية محمد على ودوره فى المنطقة، وفيه يبسط بنتهام آراءه بشأن ولى العهد والاستقلال والدستور.

(٥٣) رينيه وجورج قطاوى: محمد على وأوربا – ترجمة الفريد يلوز، القاهرة، دار المعارف، ص ٢٦٢-٢٦٥.

(٥٤) المصدر: امين سامى باشا: تقويم النيل، المجلد الأول من الجزء الثالث، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٣٦ ، ص ٢٣-٢٤.

(٥٥) دار الوثائق: محافظ ابحاث، محفظة ١٣٠ تراجم.